بسم الله الرحمن الرحيم

تحقيق المقال في الجواب على إعتراضات بعض الناس في مقالات الشيخ سعد حفظه الله

(من جانب الشيخ مولانا محمد سلمان – مدير مظاهر العلوم – بسهارنبور- الهند. 22 ر بيع الأول سنة1438 ه)

نحمد الله العظيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد!

فقد أشكل بعض العلماء وأصدروا موقفهم على إقتباسات من بيانات الشيخ سعد حفظه الله, فتكلمت معه في هذا الموضوع, وسألته عن أساس هذه الإقتباسات ومراجعها, فعرض الشيخ عليَ نشرة كانت فيها أجوبتها إختصارا وإشارة, فطلبت من بعض اهل العلم - وكان فيهم أساتذة الحديث – أن يحققوا هذه تفصيلا مع ذكر المراجع بالخصوص. حتى إذا كان فيه ما يحتاج إلى الإصلاح فيصلحه ولا يروج في الناس أمور تخالف الشرع. فشرعوا التحقيق وجمعوا المراجع.

وها نحن نسوق كل الإعتراض على الترتيب مع الجواب وذكر المراجع أو الرجوع عن ذلك إذا كان فيه خطأ

(1،2) إعتراض بعض العلماء على بعض بيانات الشيخ بأنه يفسر الآيات القرآنية برأيه يعني به التفسير بالرأي وبأن بعض كلماته تؤدي إلى سوء التأدب مع شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

والجواب :التفسير بالرأي هو مافسر كلام الله بالرأي المجرد من غير إستناد إلى علوم القرآن والسنة

ينقل الشيخ الشفيع رحمه الله في تفسيره معارف القرآن (١-٤٧) عن الإمام السيوطي في الإتقان حيث يقول عند ذكر مآخذ التفسير وذكر فيه القرآن ثم السنة النبوية ثم أقوال الصحابة ثم أقوال التابعين ثم الإستناد إلى اللغة العربية ثم قال

"الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع " (الإتقان)

ثم القرآن العظيم كلام الله هوالمشتمل على علوم لا يمكن إحصاءها ومن أعطاه الله البصيرة التامة في العلوم الشرعية كلما تفكر وتدبرفيه يظهر له من مكنوناته وأسراره أشياء كثيرة كما ذكرالمفسرون في كتبهم وتفاسيرهم ما استنبطوا من الآيات ولكن الشرط في قبول مثل هذا الإستنباط أن لا يكون المستنبط لا يتعارض مع مآخذ التفسير السابقة

ثم مسألة عصمة الأنبياء مسألة دقيقة مهمة وإليكم بعض أقوال أهل العلم في كتبهم

قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٥٢/١٤)

وقال بعض المتأخرين من علمائنا والذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بذلك عن نفوسهم وتنصلوا منها، واستغفروا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها، وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور، وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم، وعلو أقدارهم، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة. قال: وهذا هو الحق. ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهم صلوات الله وسلامه عليهم- وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم، فلم يخل ذلك بمناصبهم، ولا قدح في رتبتهم، بل قد تلافاهم، واجتباهم وهداهم، ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم، صلوات الله عليه وسلامه .

وقال الشيخ أنور شاه الكشميري في فيض الباري بشرح صحيح البخاري (215/5) ثم إن ههنا سرا، وهو أن تلك كلمة صدرت من غاية لطفه، ونهاية محبته، وفرط علاقته مع الرسل، فإن الإلزام لا يعطى إلا لمن يرجى منه خلافه، أما من لا اعتماد لك عليه، فأنت لا تلقي له بالا، ولا تعنفه، ولا تلومه، ولا تعاتبه بشيء، ولكن من كان صاحب سرك، وصاحب نجواك في جهرك وسرك، فأنت لا تغفر له أدنى غفلة عنك، وتؤاخذه بالنقير والقطمير.

وهذه العبارات من العلماء تدل أن بعض الأمور وإن كان جائزا بالنسبة لعموم الأمة فهي في نفسها مورد عتاب لخواص الأمة ومع ذلك فهو دليل لقرب منزلتهم عند الله وبه يتميزون عن الآخرين

والآن نقدم بعض الآيات القرآنية التى يعترضون بهاعلى الشيخ بأنه يفسرها برأيه أو يوهم القدح بشأن الأنبياء

***

(1) قوله تعالى : وما أعجلك عن قومك ياموسي (طه)

قال الشيخ في هذه الآية أن موسي عليه السلام لما ترك قومه وجماعته وتعجل لمناجات ربه ضَل من قومه بني إسرائيل خمس مائة وثمانية وثمانون ألفا وما فهمه الشيخ من هذه الآية هو ماصرح به كثير من المفسرين وجعلوا عجلة موسي عليه السلام سبب ضلالة قومه:

قال الإمام الرازي (98/22) وعلى الآية سؤالات:السؤال الأول: قوله: وما أعجلك استفهام وهو على الله محال. الجواب: أنه إنكار في صيغة الاستفهام ولا امتناع فيه.

السؤال الثاني: أن موسى عليه السلام لا يخلو إما أن يقال إنه كان ممنوعا عن ذلك التقدم أو لم يكن ممنوعا عنه، فإن كان ممنوعا كان ذلك التقدم معصية فيلزم وقوع المعصية من الأنبياء، وإن قلنا إنه ما كان ممنوعا كان ذلك الإنكار غير جائز من الله تعالى. والجواب: لعله عليه السلام ما وجد نصا في ذلك إلا أنه باجتهاده تقدم فأخطأ في ذلك الاجتهاد فاستوجب العتاب"

قال البيضاوي في تفسيره(52/2)

"وما أعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم"

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في تفسيره (159/3،158)

فقال له سبحانه وتعالى تنبيها على استعجاله واضطرابه في أمره(ما أعجلك) أي شيئ أسبقك (عن قومك) المستكملين برفاقتك (ياموسى) المرسل لتكميلهم بل من حقك أن تجيئ معهم مجتمعين قال تبارك وتعالى إذا فارقتهم وتركتهم صرت سببالوقوعهم في البلاء العظيم (فإنا قد فتنا) ابتلينا (قومك) الذين أبقيتهم مع أخيك أي بعد خروجك من بينهم بعبادة غيرنا فأشركوا بنا"

قال الشيخ الأكبر إبن عربي في تفسيره (55/2) وما أعجلك عن قومك إلى قوله في اليم نسفا معناه على التحقيق أن موسى عليه السلام لما شرف بمقام المكالمة وأوتي كشف الصفات وبعث لإنقاذ بني إسرائيل وإرشادهم إلى الحق وعد شريعة يسوس بها قومه فاستخلف هارون على قومه وتخلى للمراقبة قبل تثبتهم على الإيمان وتقريرهم على الحق بالإتقان فعوقب على تلك العجلةوإن كانت من غاية الشوق إلى المشاهدة وإقتضاء المقام عدم التفرغ إلى تكميل الغير لأن في تكميلهم بالمعرفة اليقينية والكمال العلمي ثبات قدمه في الطاعة وامتثال الأمر المستلزم للترقي في الحال فاعتذر بكونهم على متابعة في الدين وإن لم تبن معاملتهم على أساس اليقين"

وقال المظهري في تفسيره(156/6)

"فان قيل فانا قد فتنا مرتب على قوله عجلت إليك والتقدير إذا عجلت الى فانا قد فتنا قومك وهذا الكلام يقتضى كون العجلة سببا للفتنة إذا الفاء للسببية فما وجه هذه السببية- قلت لعل وجه ذلك ان الأنبياء عليهم السلام أرسلوا لهداية الخلق بوجهين ظاهرا بدعوتهم الى الإسلام وتعليمهم الاحكام- وباطنا بجذبهم الى الله عما سواه وإفاضة نور الايمان والمعرفة في قلوبهم حتى ينشرح صدورهم للايمان ويروؤا الحق حقا والباطل باطلا ولا يتم ذلك الا عند كمال توجههم الى الخلق بشراشرهم ولما كان عجلة موسى عليه السلام الى الله تعالى مبنيا على غلبة المحبة والشوق وسكر ذلك انقطع عند ذلك توجه باطنه عن الامة فحينئذ وقع امة في الفتنة والضلال" -

قال الآلوسى في روح المعاني(595/8)

"وما أعجلك عن قومك يا موسى" الإشارة فيه أنه ينبغي للرئيس رعاية الأصلح في حق المرءوس وللشيخ عدم فعل ما يخشى منه سوء ظن المريد لا سيما إذا لم يكن له رسوخ أصلا

وقال أيضا فيه (552/8)

والمتبادر أن يكون للإنكار، وفي الانتصاف أن المراد من سؤال موسى عليه السلام عن سبب العجلة وهو سبحانه أعلم أن يعلمه أدب السفر وهو أنه ينبغي تأخر رئيس القوم عنهم ليكون بصره بهم ومهيمنا عليهم وهذا المعنى لا يحصل مع التقدم ألا ترى كيف علم الله تعالى هذا الأدب لوطا فقال سبحانه واتبع أدبارهم [الحجر: ٦٥ [فأمره عز وجل أن يكون آخرهم وموسى عليه السلام إنما أغفل هذا الأمر مبادرة إلى رضا الله تعالى ومسارعة إلى الميعاد

وفِي تفسير المراغي (138/16) ما نصه:

والمراد الإنكار عليه فى تقدمه عليهم، لأن ذلك يقتضى إغفال أمرهم وعدم العناية بهم، مع أنه مأمور باستصحابهم وإحضارهم معه، وإنكار للعجلة فى ذاتها أيضا، ولا سيما من أولى العزم الذين يجدر بهم مزيد الجزم".

وفِي زهرة التفسير(ج9) ما نصه " الفاء للسببية أي بسبب غيبتك وعدم قيامك بحق الرقابة النفسية عليهم التي مكناك منها"

وقال إبن عاشور في تفسيره " التحرير والتنوير(277.278/16)

والاستفهام مستعمل في اللوم. والذي يؤخذ من كلام المفسرين وتشير إليه الآية: أن موسى تعجل مفارقة قومه ليحضر إلى المناجاة قبل الإبان الذي عينه الله له، اجتهادا منه ورغبة في تلقي الشريعة حسبما وعده الله قبل أن يحيط بنو إسرائيل بجبل الطور، ولم يراع في ذلك إلا السبق إلى ما فيه خير لنفسه ولقومه، فلامه الله على أن غفل عن مراعاة ما يحف بذلك من ابتعاده عن قومه قبل أن يوصيهم الله بالمحافظة على العهد ويحذرهم مكر من يتوسم فيه مكرا ..... وكان ذلك سبب افتتان قومه بصنع صنم يعبدونه... وقوله هنا هم أولاء على أثري يدل على أنهم كانوا سائرين خلفه وأنه سبقهم إلى المناجاة.

واعتذر عن تعجله بأنه عجل إلى استجابة أمر الله مبالغة في إرضائه، فقوله تعالى: فإنا قد فتنا قومك من بعدك فيه ضرب من الملام على التعجل بأنه تسبب عليه حدوث فتنة في قومه ليعلمه أن لا يتجاوز ما وقت له ولو كان لرغبة في ازدياد من الخير"

وفي محاسن التأويل للقاسمي (184/7) مانصه :

" وقال الناصر: إنما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة، وهو أعلم، أن يعلم موسى أدب السفر. وهو أنه ينبغي تأخر رئيس القوم عنهم في المسير، ليكون نظره محيطا بطائفته، ونافذا فيهم، ومهيمنا عليهم. وهذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم، ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الأدب، لوطا، فقال: واتبع أدبارهم [الحجر: ٦٥] ، فأمره أن يكون أخيرهم. على أن موسى عليه السلام إنما أغفل هذا الأمر مبادرة إلى رضاء الله عز وجل، ومسارعة إلى الميعاد.

وقال المفتي شفيع رحمه الله من كبار علماء ديوبند في تفسيره معارف القرآن (134/6) ما معناه" المناسب لموسى عليه السلام أن يكون مع قومه ويجعلهم تحت رعايته وهو اللائق بمنصبه النبوة فلما تعجل عن قومه كانت النتيجة أن أضلهم السامري

وقال الشيخ جمال الدين بلندشهري أستاذ التفسير في دار العلوم بديوبند في تفسيره المسمي بالجمالين(202/4) ما معناه"أن الإستفهام في الآية ليس المقصود منه الإستفهام وإن كان على صيغته بل نبه تبارك وتعالى على موسى عليه السلام بأن مقتضى منصب الرسالة أن يستمر مع قومه ولا يتعجل عنهم فلما تعجل كان سببا لإضلال السامري بني إسرائيل"

وفِي تفسير روح المعاني تصريح بأن خمس مائة ألف وثمانية وثمانين ألفا أفتتنوا بعبادة العجل وبقي منهم أثنا عشر ألفا فقط لم يفتتنوا به .

وقد وضح لنا من هذه التفاسير كلها بأن الإستفهام في قوله وما أعجلك للإنكار والفاء فى"فإنا قد فتنا"للسببية ولكنه يعلم من بعض التفاسير الأخري بأن الإستفهام للتقرير والفاء فيه فاء فصيحة وعلى أقوال التفاسير التى أوردناها نري أن القول الثاني مرجوح والله أعلم

الملاحظة: إختلف المفسرون في المراد بالقوم في قوله " وما أعجلك عن قومك ياموسي" قال بعضهم المراد به بنو إسرائيل وقال بعضهم هم النقباء السبعون فقط والقول الفصل فيه المراد في هذه الآية هم القوم كلهم ولما أضل السامري أكثرهم أخذ موسى عليه السلام النقباء السبعين منهم هارون عليه السلام لطلب التوبة من الله لقومه

وفي الدر المنثور(569/5)

وأخرج ابن أبي عمر العدني في مسنده وعبد بن حميد والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: سألت ابن عباس عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام: {وفتناك فتونا} في حديث طويل جدا ففيه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم رأي هارون فقالوا: يا موسى سل ربك أن يفتح لنا باب توبة نعملها ونكفر عنا ما عملنا (فاختار موسى من قومه سبعين رجلا"

وكذا مال إبن كثير رحمه الله إلى هذا القول ونقل هذا الحديث في تفسيره وقال أيضا في كتابه البداية والنهاية (423/1) عن إبن عباس والسدي وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانواعلماء بني إسرائيل ومعهم موسى وهارون ويوشع وناداب وأبيهوا ذهبوا مع موسي عليه السلام ليعتذروا من بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجل وكذا إختار البغوي والشوكاني والبيضاوي وصاحب الجلالين هذا القول ورجحوه في تفاسيرهم

(2) قوله تعالى: أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (يوسف)

أن الشيخ فسر هذه الآية بأن يوسف عليه السلام إستعان بصاحبه إلى الملك لسبب طول المكث في السجن وهذه الإستعانة لم تكن مناسبا لمنصبه النبوة قفى در المنثور(541/4)وأخرج ابن أبي الدنيا في كتب العقوبات وابن جرير والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم يقل يوسف عليه السلام الكلمة التي قالها: ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله تعالى

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنه يعني يوسف قال الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله يوسف لو لم يقل: اذكرني عند ربك ما لبث في السجن طول ما لبث

وأخرج أحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن رضي الله عنه قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن رضي الله عنه وقال: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه قال: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لولا أن يوسف استشفع على ربه ما لبث في السجن طول ما لبث ولكن إنما عوقب باستشفاعه على ربه

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه قال: أوحى إلى يوسف: من استنقذك من القتل حين هم اخوتك أن يقتلوك قال: أنت يا رب قال: فمن استنقذك من الجب إذ ألقوك فيه قال: أنت يا رب قال: فمن استنقذك من المرأة إذ هممت بها قال: أنت يا رب قال: فما لك نسيتني وذكرت آدميا قال: جزعا وكلمة تكلم بها لساني قال: فوعزتي لأخلدنك في السجن بضع سنين فلبث في السجن بضع سنين

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن رضي الله عنه قال: لما قال يوسف عليه السلام للساقي: اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك: فبكى يوسف عليه السلام وقال: يا رب تشاغل قلبي من كثرة البلوى فقلت كلمة

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله {وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك} قال يوسف للذي نجا من صاحبي السجن: اذكرني للملك فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه وأمره بذكر الملك وابتغاء الفرج من عنده فلبث في السجن بضع سنين عقوبة لقوله {اذكرني عند ربك}

وأخرج ابن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش عن الكلبي رضي الله عنه قال: قال يوسف عليه السلام كلمة واحدة حبس بها سبع سنين قال أبو بكر: وحبس قبل ذلك خمس سنين وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبد الله مؤذن الطائف قال: جاء جبريل عليه السلام إلى يوسف عليه السلام فقال: يا يوسف اشتد عليك الحبس قال نعم قال: قل اللهم اجعل لي من كل ما أهمني وكربني من أمر دنياي وأمر آخرتي فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا أحتسب واغفر لي ذنبي وثبت رجائي واقطعه من سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك

وهذا التفسير كله مأخوذ من الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ولَم يرو فيه إلا هذا التفسير ومع ذلك كيف يقال أنه تفسير بالرأي وإنما يجمع الإمام السيوطي في تفسيره هذا المأثور فقط . فيعلم منه أن هذا التفسير قد لبغ رتبة الشهرة من الرسول صلى الله عليه وسلم حتي كأنه مجمع عليه عندالسلف حتي أن الإمام مجاهد قد قطع بهذا بإرجاع الضميرإلى يوسف عليه السلام في قوله فأنساه الشيطان كما تقدم عنه

وكذا فسره إبن جرير الطبري فقال في تفسيره(7-132) قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه هذا خبر من الله جل ثناءه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به إستغاث لأسرع بِما هو فيه خلاصه ولكنه زل بهافأطال من أجلها في السجن حبسه وأوجع لها عقوبته

ولكن نقل إبن جرير عن محمد بن إسحاق أنه قال أن مرجع ضمير" أنساه"إلى الساقي ولكن تعبيره يدل على أنه قول مرجوح وفي تفسير البغوي(428/2) قال إبن عباس (وعليه الأكثرون) أنسي الشيطان يوسف ذكر ربه حتى ابتغي الفرج من غيره

قال شيخ الإسلا م شبير أحمد العثماني فى نفسيره عندما ذكر الحكمة في طول لبث يوسف في السجن – ما معناه - أن الله يجعل في كل كره وشدة خيرا وههنا أيضا أن نتيجة النسيان ظهرت بطول المكث في السجن وقال الشيخ الكشميري أن الله نبه يوسف عليه السلام بأنه لا يليق للأنبياء أن تتعلق قلوبهم بغير الله ونقل إبن جرير والبغوي رحمهما الله عن بعض السلف أنهم أرجعوا الضمير إلى يوسف فكأنهم قالوا بأن قوله أذكرني عند ربك غفلة منه عليه السلام عرضت له وأنه قال لصاحبه أذكرني عند ربك فكان عليه أن يترك الإستناد إلى الأسباب الظاهرة ويركن إلى الله ويلتجأ إليه مع أنه يجوز مباشرة الأسباب الظاهرة عند الشدائد ولا يحرم ذلك لكن حسنات الأبرار سيئات المقربين وما يجوز لعوام الناس أن يفعلوا به بلا عقاب يكون تقصيرا بالنسبة إلى مناصب الأنبياء ودرجة الأنبياء أعلى وأجل من العمل بالرخصة عند الإمتحان والشدائد بل عليهم أن يعملوا بالعزيمة ولذلك قوله عليه السلام أذكرني عند ربك كان خلاف العزيمة ولذلك عوتب بطول المكث ولذلك نسب الإنساء إلى الشيطان الخ

ينظر للتفصيل إلى تفسيرالبيضاوي والثعالبي والبغوي والقرطبي والنسفي والخازن والمظهري فى تفسيره هذه الآية

***

(3) قوله تعالى: أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (البقرة)

يقول الشيخ بأن المراد بالإنفاق ههنا ليس المراد منه الإنفاق العام بل المراد به الإنفاق الخاص وهوالإنفاق لإحياء دين الله وإعلاء كلمة الله

ويؤيد هذا التفسير ما يلى من أقوال المفسرين

قال إبن جرير الطبري في تفسيره (204/2) قال، حدثني أسلم أبو عمران مولى تجيب، قال: كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، قال: وصففنا صفا عظيما من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج إلينا مقبلا فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! ألقى بيده إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل! وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار! إنا لما أعزذ الله دينه وكثر ناصريه، قلنا فيما بيننا بعضنا لبعض سرا من رسول الله: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنا أقمنا فيها، فأصلحنا ما ضاع منها! فأنزل الله في كتابه يرد علينا ما هممنا به، فقال:"وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة"، بالإقامة التي أردنا أن نقيم في الأموال ونصلحها، فأمرنا بالغزو. فما زال أبو أيوب غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله

وهذا الحديث رواه أيضا سوي إبن جرير عبد بن حميد وأبو داودوالترمذي وصححه والنسائى وأبو يعلى وإبن المنذر وإبن أبي حاتم وإبن حبان والحاكم وصححه والطبراني وإبن مردويه والبيهقي في سننه كما في الدر المنثور) 500/1(

وأخرج الطبري (200/2) عن حذيفة قال هو ترك النفقة في سبيل الله

وأخرج أيضا في(201/2) عن إبن عباس في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال لا يقولن أحدكم إني لا أَجِد شيئا إن لم يجد إلا مشقصا فليتجهز به في سبيل الله وعن عكرمة قال نزلت في النفقات في سبيل الله وعن الحسن أنهم كانوا يسافرون ويغزون ولا ينفقون من أموالهم فأمرهم الله أن ينفقوا في مغازيهم في سبيل الله

وأخرج،(202/2) عن الضحاك قال التهلكة أن يمسك الرجل نفسه وماله عن النفقة في الجهاد في سبيل الله

لمزيد من التفصيل أنظر إلى تفسير البغوي وتفسير الرازي والبيضاوي وأبى السعود والثعالبي والمظهري والقاسمي فى تفسير هذه الآية

يعلم مما تقدم أن المصداق من هذه الآية هو النفقة في الجهاد في سبيل الله وإن كان لا يبعد أن يدخل في عمومه سائر النفقات الواجبةالباقية كما هو رأي بعض المفسرين

وفِي معارف القرآن للشيخ شفيع - ما معناه أن الفقهاء إستنبطوا من هذه الآية على أنه يجب على المسلمين من أموالهم سوي الزكاة أيضا

***

(4) قوله تعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله (الجمعة)

والشيخ فسر "فضل الله" من هذه الآية بالجولات والزيارة في الله وحلقات العلم والإيمان

وهذا القول منقول في حديث مرفوع فأخرج الطبري في تفسيره (67/12)من حديث أنس قال قال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله قال ليس لطلب دنياولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله

فإذا تفسير زيارة الأخ في الله بالجولات والزيارات هي الأقرب والأرجح في التفسير وهو المنقول عنه صلى الله عليه وسلم وهو المنقول عن إبن عباس أيضا فى الدر المنثور(164/8)وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله} قال: لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا إنما هو عيادةمريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله

فماذا بعد النقل عنه صلى الله عليه وسلم وعن ترجمان القرآن وهل هناك مجال للإعتراض عليه بالتفسير بالرأي.

وفِي روح المعانى(103/14) فسر بحلقات العلم والإيمان وفِي تفسير البغوي(345/4) وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وفِي الدر المنثور برواية الطبراني في تفسير هذه الآية عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى الجمعة فصام يومه وعاد مريضا وشهد نكاحا وجبت له الجنة وهذا الحديث أيضا تدل أن المراد بفضل الله هو الأعمال الصالحة لا فضل الدنيا وآخر تلك الآية "واذكرو الله كثيرا لعلكم تفلحون" قرينة واضحة على أن هذا هوالمراد في الآية. وتوضح لنا هذه الجملة الآخيرة بأنه ليس المراد بالزيارة زيارة عادية بل المراد الزيارة التي تكون سببا لذكر الله وزيارات أهل الدعوة لا يكون إلالذلك وأنهم يزورون الناس ليذكروهم بالله ويشوقوهم على الأعمال الصالحة

وكذا وردت كلمة" فضل الله" في كثير من المواضع من القرآن والسنة والمعني هناك أيضا الأعمال الصالحة والتوفيق للخير نسوق بعضها للمثال

-ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا

-ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك

-وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

وعلم من هذا كله أن هذا التفسير هو الأقوي فضلا على أن يقال أنه يحتمل التفسير به

للمزيد من المراجعة أنظر البيضاوي والثعالبي والخازن والمظهري وفتح القدير تفسير النسفي وروح البيان وزاد الميسر واللباب في علوم الكتاب وروح المعاني وتفسير أبى السعود فى تفسير هذه الآية

***

(5) قوله تعالى : ولذكر الله أكبر (العنكبوت)

وقال الشيخ في تفسيره أن المراد من هذه الآية ذكر الله العبد هو الأكبر وإليك بعض أقوال كبارالمفسرين مع ذكر المراجع

قال الطبري في تفسيره (156/20) عن عبد الله بن ربيعة، قال: قال لي ابن عباس: هل تدري ما قوله: (ولذكر الله أكبر) قال: قلت: نعم، قال: فما هو؟ قال: قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة، وقراءة القرآن ونحو ذلك، قال: لقد قلت قولا عجبا وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه، إذا ذكرتموه (أكبر) من ذكركم إياه.

وفِي رواية أخري فقال: لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت، ولكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

وفِي رواية ذكر الله للعبد أفضل من ذكره إياه.

وفِي أخري (ولذكر الله) لعباده إذا ذكروه (أكبر) من ذكركم إياه.

وفِي رواية عنه وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال: هو كقوله: (فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

وهذه الروايات وكذا غيرها من الروايات عن إبن عباس كلها تدل على هذا التفسيروكذا رواه غيره من الصحابة

أخرج الطبري بسنده عن عبد الله (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال: ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه.

وبسنده عن سلمان وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) قال: قال ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

هكذا رواه إبن جرير عن أبي الدرداء وعن عكرمة وعطية ومجاهد وأبى قرة وشعبة

وهكذا رواه عن إبن عباس إبن المنذر وإبن أبي حاتم والفريابي وسعيد بن المنصور والحاكم وصححه البيهقى في شعب الإيمان

ورواية إبن مسعود أخرجها سوي إبن جرير إبن أبي شيبة وَعَبَد الله بن أحمد بن حَنْبَل في زوائد الزهد

وتفسير عطية رواه إبن أبي الدنيا والبيهقي أيضا وتفسير مجاهد رواه عبد بن حميد وإبن المنذر وإبن أبي حاتم أيضا

وروي هذا التفسيرأبن السني وإبن مردويه والديلمي عن إبن عمر أيضا

ورواه عبد بن حميد عن الحسن أيضا كما في الدر المنثور

وروي تفسير إبن عباس عبد الرزاق أيضا في تفسيره

وانظر للمزيد تفسير مجاهد والسمرقندي والثعالبي والنسفي والخازن وإبن كثير والقرطبي والبيضاوي وفتح القدير والدر المنثور تحت هذه الآية

والخلاصة : أن هذاالتفسير منقول عن إبن عباس وإبن مسعودوأبو الدرداء وسلمان الفارسي وإبن عمر ومن التابعين عكرمة ومجاهد والحسن البصري وأبو قرة وعطية وعن غيرهم ممن بعده وأن هذا التفسير مذكور في كثير من كتب التفسير ومع هذا

كله إذا كان هذا تفسيرا بالرأي فأي شيئ يسمي بعده بالتفسير بالمأثور بل بالنظر إلى أقوال أكثر المفسرين بهذا التفسير والى قليل منهم بالقول الثاني تدل على أن هذا التفسير هو تفسير السلف ولذلك رجح كثير من علماء السلف هذا التفسير وصرح الطبري بذلك وقال أشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال ولذكره إياكم أفضل أفضل من ذكرهم إياه وهذا التفسير تفسير القرآن بالقرآن كما علم من قول إبن عباس وهو أرجح من غيره

الملاحظة : أن الإعتراض بهذين الأمرين يعني التفسير بالرأي والقدح بعصمة الأنبياء أمر عظيم بالنسبة للمسلم فضلا عن العالم ولذلك فصلنا فيه بعض التفصيل والذي وضح لنا بأن الشيخ بري من هذين الإتهامين كبراءة الذئب من دم يوسف وعلم أيضا بأن تفسير الشيخ مبني على النقل لابالرأي والإستنباط الذي هو آخر مآخذ التفسير المقبول فضلا أن يكون تفسيرا بالرأي والله أعلم

الإعتراض (3) : موقفه عن الهواتف التي فيها الكاميرا

الجواب : ما تكلم الشيخ عن مثل هذا الهواتف من قبل بلهجة شديدة- وكان بعض كلامه صار كالفتوي- فإن الشيخ قد رجع عن هذا القول ومع ذلك ما يقدم المعترضون من أصوات وإقتباس في هذا الشأن لم يسلم من التحريف والتبديل كما نسب إليه بأن الشيخ ينسب من يجوز ذلك إلى علماء السوء ولكن الشيخ قال من علماء السوء، من علماء السوء، من علماء السوء من يتساهل في الأمور المشتبهة (بلفظه) وأن موقف الشيخ في هذه المسألة لايختلف عن موقف العلماء المحقين بأن استعماله في غير محله مضرة شديدة خصوصا على العوام الذين لا يستطيعون الإجتناب عن أضراره والمنع البات لطلبة دار العلوم وندوة العلماء وغيرهادليل واضح لذلك والعوام إكتفوا بما فيه من مضامين رطب ويابس عن صحبة العلماء وانسد الطريق لفهم الصحيح بذلك

والإعتراض (4) قوله : يجب على كل مسلم أن يقرأ القرآن بالتدبر

والجواب قد رجع الشيخ عن هذا القول ولكن شدة الشيخ فيه (مع أنه رجع عن القول بالوجوب) تنكير على بعض أهل الدعوة بأنهم ينكرون على حلقات القرآن بالمساجد لعدم فهمهم هذا الأمر وظنواأن هذه الحلقات منافية لهذا العمل

الإعتراض (5) أن الشيخ يمنع إستعمال الوسائل الحديثية لتبليغ الدين

الجواب وهذا ليس قوله فقط بل هذا من الأصول القديمة لهذا العمل وقد نقل الشيخ منظور النعماني قول الشيخ يوسف رحمه الله (كما في تذكرة الشيخ يوسف (ص 105) قال الشيخ يوسف "الإجتناب من الطرق المروجة كالجرائد والإشتهارات وكذا من إستعمال الكلمات المروجة أيضا ضروري لتعميم هذا الجهد وهذا العمل بتمامه غير ملائم للطرق المروجة والطرق المروجة تقوي الرواج لا العمل"

الإعتراض (6) يعلم من بياناته أنه يكتفي لتزكية النفوس بهذا العمل عن غيره من الطرق

الجواب : ما يقوله الشيخ بهذا الصدد يؤيده قول المدير السابق لدار العلوم ديوبند الشيخ قاري طيب رحمه الله حيث كتب في رسالته "الأجوبة للإعتراضات على أهل التبليغ"(ص114-116) فقال إن لإصلاح النفوس أربعة أجزاء وأربعة طرق جمع هذا العمل كل هذا الطرق صحبة الصالح والذكر والفكر والمؤاخاة في الله ومحاسبة النفس فمجموع هذه الأعمال الأربعة يسمى بجماعة التبليغ ولا يوجد للعوام طريق أفضل من هذا لإصلاح نفوسهم ويعم الدين أيضا بهذا الطريق (من أراد التفصيل فلينظر في هذه الرسالة

ومنشأ الشيخ من مثل هذه المقالات ليس إلا أن يهتم الخارج في هذا العمل في باب العلم والذكر وأن الخروج لا يخلو من العلم والذكر وإلا يصير هذا العمل مجرد رواج وعادة وكذا كان الشيخ إلياس رحمه الله يشعر من قلبه ويتألم في نفسه بأنه قد قل إهتمام القائمين بالعمل في العلم والذكر وقد أرشد الشيخ سعد حفظه الله لبعض الأحباب ممن كان معه في المركز أن يقيموا فى المركز يجمعون بين العبادة والدعوة لشدة المتطلبات في المركز وأنه أفضل وأنفع لهم

الإعتراض (7) قول الشيخ أن التحرك لدين الله شرط لتكميل التوبة وأن الناس نسوا هذا الشرط

الجواب :لوتدبرنا في مجموع كلامه لنفهم منه أن الشيخ يقول هذا شرط لتكميل التوبة لا لتحقيقها ولكن الشيخ رجع عن إستعمال كلمة"الشرط" و"النسيان"لمايوقع في القلوب من الإشكال ولذلك عبر الشيخ في إجتماع بهوبال قبل سنتين هذا الأمر بقوله"هذا لا يمكن أن يبينه إلا عالم ولا يستطيع العابد الجاهل أن يدل على هذا "

وماهي أهمية هذا الأمر الرابع وما مأخذه؟ فقال القاضي عياض عند شرح حديث توبة من قتل مائة. ما نصه

فيه الحض على مفارقة الإنسان المواضع التى أصاب فيها الذنوب والأقران الذين ساعدوه عليها، ومعاداتهم لله تعالى، مبالغة فى التوبة وقطع علائقها، والاستبدال [بذلك] صحبة أهل الخير والصلاح ومن يقتدى به، ويتأكد بمشاهدته توبته.

وقال النووي في شرح مسلم"قال العلماء في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدي بهم وينتفع بصحبتهم وتتأكد بذلك توبته .

ويتضح من أقوال العلماء أن للخروج أهمية كبيرة لقبول التوبة وما يقوله البعض بأن الأمة أجمعت على أن للتوبة ثلاثة شروط فقط لا يزاد عليها فلا يصح لأن عبد الله بن المبارك وغيره ذكروا شروطا أخري للتوبة كما في فتح الباري وشرح القسطلاني.

الإعتراض (8) قوله: أن الزناة يدخلون الجنة قبل من يأخذ على تعليم القرآن أجرا.

الجواب:أن هذا ليس قول الشيخ سعد وإنما هذا أثر عمر رضي الله عنه كما في حياة الصحابة(333/3) مأخذه كنز العمال ومأخذ كنز العمال الجامع لأخلاق الراوي - يا أهل العلم والقرآن لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمنا فتسبقكم الزناة إلى الجنة .

وأن عادة الشيخ عندما ينقل هذه القصة يقول أن الأجرة الآن ليست بدلا للتعليم وإنما هي لحبس الوقت والمعترض نسب قول عمر رضي الله عنه إلى الشيخ خطأ أو عنادا وحذف ما فسره وجعله مطعنا للشيخ وهناك إختلاف في النسخة هل هو " الزناة" كما فى الكنز وحياة الصحابة أو" الدناة" كما في الجامع لأخلاق الراوي للخطيب ولكن الراجح " الزناة" كما في فضائل القرآن للمستغفري (رقم الحديث 20) والله أعلم بالصواب.

الإعتراض(9) قوله: لا بقعة لتحصيل الهداية سوي المساجد

الجواب : وفي هذه العبارة مسامحة وغموض والصحيح فيه قوله البقعة الأصلية لتحصيل الهداية هو المسجد كما في قوله عزوجل "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وقوله عزوجل نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وكذا قوله عزوجل عن بيت الله هو أصل جميع المساجد فى العالم. إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدي للعالمين

الإعتراض (10) إنه أطلق لفظ المعجزة وخرق العادة لغير الأنبياء

الجواب نحن تكلمنا مع الشيخ عن هذه المسألة فقال إن مقصودي بهذ الكلام أن نصرة الله الغيبية بخلاف الظاهر ليست خاصة للأنبياء فقط بل لا تزال تنزل إلى يوم القيامة على ما كان الأنبياء عليهم السلام من الدعوة إلى الله سبحانه, وقال أيضا: إن المعجزة عند المتقدمين يطلق على كل خارق للعادة سواء صدر من نبي أو ولي وإختصاص المعجزة بالنبي إصطلاح متأخر فلما بحثنا بعد قول الشيخ هذا وجدنا هذا قال إبن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية (1-484)فالمعجزة في اللغة تعم كلخارق للعادة، و [كذلك الكرامة] في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين. ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي

ومع ذلك طلبنا من الشيخ أن يراعي إصطلاح المتأخرين للحفاظة من الشبهات فقبل الشيخ ذلك جزاه الله خيرا

الإعتراض (11) تارة يقول الشيخ نرحب من كل واحد رأيه وتارة يقول لا نأخذ إلا ممن له ربط وشراكة في هذا الجهد

والجواب يعنى به الشيخ نأخذ ونرحب في الأمور الشرعية رأي كل من له رسوخ في الشرع وأما في أصول الدعوة ونهجها الداخلي والإنتظامي فلاوقال الشيخ طيب رحمه الله كما نقله شيخ الحديث في رسالته الأجوبة للإعتراضات على أهل التبليغ(91)

إذا اعترضوا بعد ما دخلوا في العمل فيقبل وإذا اعترضوا وطعنوا وهم من خارج العمل ولَم يدخلو ابعد فلا يقبل ولكن من يدخل في العمل لا يطعن لما فهم من فوائدهذا العمل معاينة

الإعتراض (12) الإصطلاح الجديد لتقسيم السنة

الجواب:أن الشيخ لما يتكلم في إتباع سنة النبي عليه السلام يقول علينا أن نتبعه في كل شيئ في أمور الدعوة والعبادة والعادة يعني به سنة الدعوة وسنة العبادة وسنة العادة والمعترض يقول أنا لا نجد عن الفقهاء سوي القسمين للسنة سنة عبادة وسنة عادة ومن أين جاء هذا القسم الثالث سنة الدعوة

والحقيقة هذا تفسير وتشريح بصورة التقسيم لما يعبر الفقهاء بسنن الهدي لا أنه قول لم يقل به العلماء وهذا كما أنه كان للتواتر ثلاثة أقسام وأول من زاد فيه قسما أخر الشيخ أنور الكشميري فحسنه العلماء ولَم يطعنوه به قال الشيخ شبير أحمد رحمه الله في فتح الملهم" أول من ربع القسمة وسمي كل قسم بإسمه فيما نعلم الشيخ العلامة أنور أطال الله بقاءه وهو تقسيم حسن والله أعلم ولو ظن المعترض أن الدعوة خارج من السنة فهو مخطئ في زعمه ،وقال تعالى قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني قال إبن كثير أي أن هذه طريقته ومسلكه وسنته ولو قال المعترض أن لا ضرورة لمثل هذا التقسيم فنقول له أنه فصل كذلك لأهميته كما هو واضح من هذه الآية.

الإعتراض (13)قوله : الفنون العصرية خصوصا الفلسفة الجديدة توقعكم في الضلالة

الجواب: ولو شهد واحد من العلماء بأن فيه هداية لكفاكم ولا يكون للغرب كبير شيئ في إضلالكم

فاسألوا من اللديغ حقيقة السم

يقول الشيخ عبد الماجد الدريا بادي إن الفلاسفة الغربيين لم يتركوا أي فرصة وجدوها للرد على الإسلام في كتبهم التاريخية بل وفِي كتبهم الطبية ويقول الشيخ ماجد رحمه الله في كتابه السياسة الماجدية (ص105) ذهبت إلى المكتبة ووقع نظري على كتاب ليس موضوعه الديانة بل التاريخ والأدب وجمع فيه أسماء الأدباء ومشاهيرهم وكان فيه الإقتباس من القرآن وفي صفحة كاملة منه صورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأحد المصنف للقرآن صورة يقطر منه السم من المصور وصوره كأنه قاطع طريق سفاك أعاذنا الله منه

وكتاب أخر ليس موضوعه الديانة بل الطب وأن مصنفه لما تكلم عن مرض الصرع ذهب يقول أن من كان من أشهر الأنبياء كانوا مبتلين بهذه الأمراض ثم عد بعض الآثار التي يحدث عند نزول الوحي كعلامة لهذا المرض

صيحة الملدوغ

يقول الشيخ ماجد إذا كان حال هؤلاء الغرب هذافكيف يحفظ عوام الناس إيمانهم وعقائدهم مع حملة هؤلاء المعاندين من حيث لا نشعر ولذلك ظهر في قلوب المسلمين المشتغلين بهذه العلوم العصرية الإلحاد والشكوك وصار الشاب المسلم ملحدا ومعاندا للدين ويفتخر به

وهذا الكلام قد نقلناه لنعرف حقيقة هذا الأمر ولكن الشيخ لم يكن قصده أن يبين أن العلوم العصرية مضللة بنفسه ولكن قصده بذلك التنبيه بذم الإكتفاء بهذه العلوم والإستغناء به عن العلوم الشرعية وبيان أن عدم الإهتمام بصحبة العلماء ضلالة وخطأ فاحش

الإعتراض (14) إنه يؤخر العشاء تأخيرا شديدا لترتيب الدعوة وتنظيمها كأنه يظهر أن أهمية الدعوة مقدمة على أهمية الصلاة

الجواب : أما أولا فتأخير العشاء إلى ثلث الليل هو المستحب عند الحنفية وهذا هو المعمول عموما في المركز إلا نادرا مع أن التأخير إلى نصف الليل جائز بلا كراهة وفِي حياة الصحابة باب مستقل في هذا الصدد فإليكم هذا" باب إشتغال الإمام بحوائج المسلمين بعد الإقامة أخرج عبد الرزاق عن أسامة بن عمير قال كانت الصلاة تقام فيكلم الرجل النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة تكون له فيقوم بينه وبين القبلة فما يزال قائما يكلم فربما رأيت بعض القوم ينعس من طول قيام النبي صلى الله عليه وسلم

كذا في الكنز وعند إبن عساكر عن أنس إن الصلوة كانت تقام بعشاء الآخرة فيقوم النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل يكلمه حتى يرقد طوائف من الصحابة ثم ينتبهون إلى الصلاة كذا فى الكنز

والجدير بالذكر أن الإمام البخاري سبق الشيخ يوسف في الإستدلال بهذا على تأخير العشاء لمثل هذا (ينظرفي صحيح البخاري في كتاب الأذان باب الإمام تعرض له الحاجة بعد الإقامة وباب الكلام إذا أقيمت الصلاة وفي كتاب الإستئذان باب طول النجوي) وقال الحافظ في الفتح وفيه جواز الفصل بين الإقامة والإحرام إذا كان لحاجة

الإعتراض (15) قوله : إن مثقال ذرة من الأعمال الإجتماعية يقوم مقام جبل من الأعمال الإنفرادية

الجواب:أي شيئ فيه ما يتعجب ويستبعد! الأعمال الإنفرادية تنحصر على ذاته ونفع الأعمال الإجتماعية يتعدي إلى الأمة كافة كما أن العمل الإجتماعي في المدارس هو الذهاب إلى صفوف الدروس ولو ترك طالب ذالك واشتغل في العبادة فماذا ينصحه المعلم يا أخي! أن جبلا من الأعمال الإنفرادية لا يقاوم لذرة من هذا يعنى الدرس فهل هذا خطأ وكذا لو ترك رجل الجماعة وصلى منفردا نفس الصلاة ألف مرة فهل يعدل ذلك صلاة الجماعة لا ولا أبدا

وفي الحقيقة هناك فرق واضح بين التمسك بالدين على الإنفراد وبين تمسكه على الإجتماع كمابين السماء والأرض والناس في غفلة عنه اليوم حتي أن القيام بواجبات الدين على الإجتماع تعطل أو إنحصر في طائفة ولذلك حرمت الأمة عن النصرة من الله التى نحن فقراء إليها من حيث الأمة والله أعلم

والملحوظ ههنا أن هذا الكلام ليس كلام الشيخ بل كلام شيخ الحديث زكريا رحمه الله ونقله المفتي زين العابدين رحمه الله وأن الشيخ كتب رسالة إلى المفتي بذلك وذكرالمفتي ذلك في مركزرائيوند

الإعتراض (16) أنه يُبين طريق النبوة على حدة وطريق الولاية على حدة

الجواب:ومالذي يعترض عليه بذلك؟ أن طريق الولاية في الحقيقةإسم للجهد على نفسه وأن طريق النبوة إسم للجهد على الأمة مع نفسه ومأخذ هذا الكلام هو من مقالات الشيخ المجدد رحمه الله وأخذ هذا الكلام منه كثير من المفسرين لأهميته قال ثناء الله في تفسيره المظهري(6-156)مقتضى الولاية الاستغراق والتوجه الى الله سبحانه ومقتضى النبوة التوجه الى الخلق والتحقيق ما حقق المجدد الألف الثاني رضى الله عنه ان النبوة هى الأفضل من الولاية.....بل التوجه الى الخلق لما كان بإذن الله وعلى حسب امره ومرضاته فهو ايضا في المعنى توجه الى الله سبحانه

فإني في الوصال عبيد نفسي

وفِي الهجران مولى للموالي

وأشار صاحب المظهري إلى العلة للأفضلية بأن الإشتغال بالخلق (بطريق الدعوة)شاق على النفس من الإشتغال بذات الله فقط(يعني من طريق العبادة)

والحقيقة أيضا كذلك بأن الإشتغال في النوافل ألذ على النفس وأسهل من تذليل نفسه أمام الخلائق لذات الله ولإعلاء كلمته وإقامتهم على الحق ولذلك نحن إلى أمس الحاجةفي الوقت الراهن الذي صار حال الناس إلى أسوء ما كان ولَم تجد الأمة أحدا يبكي لها وينقذها منه لبيان أفضلية طريق النبوة بالمعني السابق حتى نجلب الأمة إلى ذلك وصدق الشيخ التهانوي رحمه الله

أن الدعوة عند الناس صارت نسيا منسيا وهم تركوها حتى مع القدرة عليها فضلا عند عدمها وأسلافنا قاموا بها مع عدم القدرة فضلا عند وجودها

الإعتراض (17) سمعنا بأن هذا الجهد إبتعد منهجه الآن عن منهج الأكابر الثلاثة السابقين والآن يخاف عليه أن يكون هذا سببا لضلالة الناس

الجواب: ليس هذا الطعن على العمل بجديد وطعنوا به في كل عصر يقول شيخ الحديث في رسالته الأجوبة للإعتراضات على جماعة التبليغ (116ص) أنا أسأل سؤالا أنظروا إلى دار العلوم ديوبند هل بقي الآن على ما كان في زمن الشيخ النانوتوى والشيخ محمد يعقوب رحمهما الله؟ وهل بقيت مدرسة مظاهر العلوم على حالها التي كانت عليهافي زمن الشيخ أحمد على صاحب والشيخ محمد مظهر صاحب رحمهما الله ؟هل بقيت جمعية علماء الهند على ماكانت في زمن شيخ الهند والمفتي كفاية الله رحمهما الله؟ هل بقى مواضيع التزكية على ما كانت في زمن الحاج إمداد الله والشيخ رشيد أحمد الغنغوهي رحمهما الله؟ فإذا هل أنتم تقولون بأن هذه كلها على ضلالة لترك منهجهم القديم؟لا ولا وقد قال عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكلما ابتعد عن القرون الفاضلة تقل البركات والخير على قدرها وهذا هو ظاهر لا يخفى على أحد فلا يقول أحد أن الإسلام أيضا لبعده عن زمن النبوة صار سببا للضلالة نعوذ بالله منه!

ثم يقول شيخ الحديث إنَّا إذا طلبنا في الأزمان المتأخرة البركات التى وجدت في زمن الأكابر فهذا جهل كل الجهل

ثم قال في (ص118) عن الشيخ التهانوي من مقولاته يقول " ونحن أيضا لم نبق على هيئتنا الأصلية كما رأيناأحوال أسلافناوأن الناس كانوا يدخلون في الإسلام عندما يرون أحوالهم (الإفاضات اليومية)

وهل يقال أن خانقاه الأشرفية صار في زمنه سببا للضلالة لما لم تكن على وضع أسلافه ؟

وأنا أوردت في كتابي عن سيرتي"آب بيتي" كثيرا من عمل السلف عن أمور المدرسة والأوقاف وهذه لايجاوزحناجر أهل المدارس فضلا عن أن يعملوا بها فهل يمكن أن يقال بعدها أن هذه المدارس التى يشعر بأهميةوجودها كل الموافق والمخالف صارت سببا للضلالة؟ لا ولا ومع هذ كله لا أقصد بهذا الكلام أن أجعل أهل التبليغ معصومين ولا أنا أنصرهم بغير حقه ولا أناأنكر عن أخطاءهم .انتهي كلامه

الإعتراض(18) أنهم يبينون أهمية هذا الجهد بحيث يلزم الإستخفاف بالشعب الدينية الأخري

الجواب:يكفي للمعترض لدفع هذا أن يسمع بيانات الشيخ سعد حفظه الله التي يُبين فيها أهمية العلم والعلماء والمدارس الدينية وتسجيلاتها محفوظة توجد في كل مكان خصوصا في مركز نظام الدين عندما يودع الجماعات كيف الشيخ يهتم بتوجيه الناس إلى الإهتمام بهذا العمل مع بيان أهمية الشعب الدينية الأخري فلا نحتاج إذا إلى مزيد من البيان.

وهذا ما أردنا جمعه والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.